الفصل الثالث والعشرون

# علم الجغرافيا فى القرنين الأخيرين[1]

## كراتيس وسترابون

بينما كانت المؤلفات الرئيسية ، فى العمارة والزراعة مكتوبة باللغة اللاتينية، وهى تكاد تكون الوحيدة من نوعها، كان معظم المؤلفات الجغرافية مكتوباً باللغة اليونانية، باستثناء ما ظهر منها فى نهاية القرون الثلاثة التى نحن بصددها ، أى زمن قيصر وأغسطس، حين ظهرت مؤلفات جغرافية باللغة اللاتينية وكانت تلك المؤلفات رومانية خالصة، أى مؤلفات رومانية خالية من أية صيغة هلنستية . وكان الرائدان الرئيسيان فى هذا المجال كراتيس المالوسى ( القرن الثانى ق.م.) وسترابون الأماسى ( القرن الأول ق.م ) .

## الجغرافيا عند اليونان

**كراتيس المالوسى :**

كانت مدينة مالوس ، موطن كراتيس ، مقر جالية يونانية قديمة بإقليم قيليقية الحالية ، ويقال إن هذه الجالية تأسست زمن حرب طروادة[2] . وعاش كراتيس بمدينة برجامة حيث كان رئيساً لمدرسة فقه اللغة ومديراً للمكتبة . وكان معنى ذلك أنه دخل كثيراً فى مناقشات مع معاصريه من علماء مدرسة الإسكندرية ، وسوف نتحدث عن ذلك فى الفصل السادس والعشرين . وكانت السنة الوحيدة المعروفة من حياته هى سنة ١٦٨ ، حين أرسله الملك يومينيس الثانى مندوباً إلى روما ليقدم تهنئات هذا الملك إلى رؤساء الدولة الرومانية

بمناسبة انتصار بيدنا . ويقال إن زيارته أثرت فى نمو المكتبات العامة فى روما . غير أن هذا القول يكون سابقاً لأوانه فيما يخص نمو المكتبات فى روما .

ويذكر سترابون ( الكتاب الثانى ، فصل ٥ ، فقرة ١٠) أن كراتيس صنع كرة أرضية ، وهى أول محاولة تعرفها ، مع العلم بأن تصميمات كروية للأجرام السماوية استخدمت من قبل . ولما كان المعمور من العالم جزءاً صغيراً من سطح الأرض، لا حظ سترابون أنه ينبغى استخدام كرة كبيرة لا يقل قطراها عن عشر أقدام لأغراض الدراسة العملية ، ولكنه لم يذكر أن كرة كراتيس كانت كبيرة بهذا الحجم. ويبدو أن كراتيس لم يحفل بالتفاصيل الجغرافية ، وأنه كان أكثر اهتماماً بالظواهر العامة فى الكرة الأرضية . إذ أحيا نظرية الفيثاغوريين وأضاف إليها ، وهى النظرية القائلة بوجود أربع كتل أرضية ، بمعنى أنه ليست هناك معمورة واحدة ، بل توجد منها أربع واقعة على أربع كتل من الأرض، يفصلها بعضها عن بعض محيطان ، وتواجه كل اثنتين منها الاثنتين الأخريين ( تستطيع أيها القارئ أن تتخيل تفاحة تأخذها أنت وتقسمها إلى أربعة أجزاء بواسطة مسطحين متعامدين). وكانت هذه النظرية الفيثاغورية من غير شك نظرية لا يقوم لها دليل ، ولكنها أرضت الخيال ، وألهمت الفكر الجغرافى أكثر من مرة[٣] .

وسوف نتحدث الآن بإيجاز أكثر ، عن ثلاثة من معاصرى كراتيس ، وهم: بوليمون الرحالة ، وأجاثرخيديس ، وبوليبيوس الرواقى .

## بوليمون الرحالة :

أما بوليمون الرحالة ( النصف الأول من القرن الثانى ق.م.) فنشأ فى مدينة طروادة ، وطوف فى جميع بلاد اليونان . ويشير لقبه ، أى الرحالة ، إلى مهنة تعتبر من مظاهر الحياة فى عصره ؛ إذ أولع اليونان دائماً بالترحال ، وكان هناك رحالة محترفون، وهم ممن جعلوا صناعتهم معرفة المدن اليونانية، ويقومون بإرشاد الآخرين ، مثل الزوار الرومان ، من مدينة إلى أخرى ، شارحين لهم

المبانى الهامة فيها . ولم يصلنا من أعمال بوليبون غير شذرات[٤] من مؤلفاته . ومن هذه المؤلفات كتب سياحية وتاريخية فى تأسيس كثير من المدن . كما قام ببحث بعض المسائل الأثرية ، ونشر نقوشاً كتابية خاصة بكثير من المدن القديمة . وكان معظم هذه النقوش التى قام بجمعها عبارات تهنئة مقدمة للآلهة بمعابد دلفى وإسبرطة وأثينا . وليس من الثابت أن كراتيس نفسه عمل مرشداً مترحلا بين البلاد ، ولكن أعماله جعلت مهنة الإرشاد السياحى عملا مستطاعاً ، أى إنه كان الأب للمرشد السياحى اليونانى .

**أجاثرخيديس الكنيدى[٥] :**

كان أجاثرخيديس من الفلاسفة المشائين فى النصف الأول من القرن الثانى ق . م ، وبلغ أوج مجده فى الإسكندرية فى الربع الثانى من القرن الثانى ، إذ كان مربياً أو معلماً لأحد الملوك البطالمة ( بطلميوس الحادى عشر سوتير الثانى ؟ ) وله مؤلفات فى جغرافية آسيا وتاريخها فى عشرة كتب ، وفى جغرافية أوربا وتاريخها فى ٤٩ كتاباً ، ولكن أهم أعماله كتاب عن البحر الأحمر[٦] ؛ ويشتمل هذا الكتاب على معلومات جغرافية وبشرية عن إثيوبيا وبلاد العرب ؛ مثل أخبار مناجم الذهب فى إثيوبيا ، وآكلى السمك على الساحل العربى . ويرجع أجاثرخيديس سبب فيضان النيل فى الصيف إلى المياه التى تتجمع فى إثيوبيا فى فصل الشتاء .

**بوليبيوس :**

كان بوليبيوس الرواق ( النصف الأول من القرن الثانى ) أولا وقبل كل شىء مؤرخاً ، وهو أحد عظماء المؤرخين فى العصور القديمة ، وسوف نفصل القول فى دراسة أهمية أعماله بصورة أشمل فى الفصل التالى ، لكنه يستحق أن يستوقف اهتمامنا هنا ، إذ كانت الجغرافيا فى نظره إحدى المواد الثانوية المساعدة للتاريخ السياسى ، لكنه أدرك تمام الإدراك أن المعرفة الجغرافية الجيدة

كانت من اللوازم الأساسية لكل مؤرخ باحث . وكان بوليبيوس الرواقى يونانيًّا صميماً من إقليم أركاديا . طوف كثيراً فى أرجاء العالم اليونانى ، كما فعل غيره من اليونانيين . لكنه على خلاف أكثرهم ترحل كذلك فى البلاد الغربية ، أى إيطاليا وجاليا وإسبانيا . ولذا اكتسب بوليبيوس خبرة غير عادية بالبيئة الغربية ، التى قام بوصفها فى عرض متقن لأحداث الغرب . فبين مدى تقدم المعرفة الجغرافية التى أدت إليها الفتوح الرومانية ، ونستطيع أن نقول إنه أول من وصف العالم الرومانى .

ومع أن بوليبيوس كان من أبناء الجيل الفكرى فى الجزء الأخير من القرن الثالث ، فإنه عمر طويلا حتى إنه وصف لنا أحداث النصف الثانى من القرن الثانى ، وتوفى فى الثانية والثمانين ، أى حوالى سنة ١٢٥ ق.م .

ويستحق ثلاثة رجال آخرين اهتمام مؤرخى الجغرافيا ، وهم : هيبارخوس ، وأرتيميدوروس ، ويودكسوس ، وهم ممن عاصروا بوليبيوس ، وكانوا أصغر منه سنًّا .

**هيبارخوس النيقى** : ( النصف الثانى من القرن الثانى ق. م. ) :

كان هيبارخوس فلكيًّا قبل أى شىء آخر ، وساعد بصفته هذه على إقامة الأساس الرياضى للمعرفة الجغرافية . ويستطيع الباحث أن يقول إن جدراة هيبارخوس كجغرافى هى إصراره على استخدام أساليب رياضية دقيقة فى تحديد الأماكن . ولكن كراهيته للفلكى إراتوسثنيس وارتيابه فى المعلومات الجديدة التى أمكن الحصول عليها منذ فتوح الإسكندر ، أفسدت منهجه هذا بعض الشىء . وكتب هيبارخوس كتاباً فى مهاجمة نظريات إراتوسثنيس ، لكنه ارتفع على حساب هذا الفلكى الكبير ، بدليل اقتناعه وموافقته التامة على جميع ما وصل إليه إراتوسثنيس من نتائج فيما يتعلق بحجم الأرض .

وحاول هيبارخوس أن يقيس خطوط العرض بتحديد النسبة بين أقصر أيام

السنة وأطولها ، بعكس طريقة البابليين التى تقيس الزيادة فى أطوال النهار كلما اتجه الإنسان جنوبا بطريقة المتواليات العددية . وكان هيبارخوس أول من قسم الجزء المعمور من العالم إلى مناطق حسب مواقعها من خطوط العرض أو حسب الأحوال الجوية ، وذلك بتقدير خطوط العرض والطول بالنسبة لخطوط دائرية كبيرة مقسمة إلى ٣٦٠ درجة ، واستخدام هذه النسب بنظام لتحديد موقع كل منطقة من هذه المناطق . واقترح هيبارخوس لتحديد خطوط الطول معاينة الكسوف من أماكن متفرقة ، على قاعدة أن اختلاف التوقيت المحلى يدلنا على اختلاف خطوط الطول. وكانت هذه الطريقة ممتازة ، غير أن تطبيقها المنتظم كان يتطلب قدراً من التنظيم السياسى العام ، وهو ما لم يكن موجوداً وقتذاك ، كما يتطلب قدراً من التنظيم العلمى الذى لم يكن فى الإمكان تصوره فى عصره .

ليس لدينا ما يثبت أن هيبارخوس ترحل كثيراً بين البلاد . ولذا نسأل: من أين ، وكيف إذن حصل على معلوماته ؟ نحن مدينون إلى سترابون بالقليل مما نعرفه عن جهود هيبارخوس الشخصية ، ومن المحتمل أن جغرافية بطلميوس التى جمعت بعد هيبارخوس بثلاثة قرون، اعتمدت على مادة جمعها سترابون.

**أرتميدوروس الأفيسوسى**[٧] : (النصف الثانى من القرن الثانى ق.م.) :

زادت المعلومات الجغرافية التى اهتدى إليها كل من أجاثرخيديس وهيبارخوس على يد أرتميدوروس الأفيسوسى الذى بلغ أوجه فى نهاية القرن الثانى (حوالى ١٠٤ — ١٠٠ ق.م) . وسافر أرتميدوروس إلى بلاد نائية حتى بلغ إسبانيا (وجاليا) غرباً ، واستقر فى الإسكندرية حيث كتب أحد عشر مؤلفاً جغرافياً . وفى مجال الجغرافيا الشرقية اعتمد هذا الباحث على أجاثرخيدس ، وأضاف إليه معلومات عن البحر الأحمر وخليج عدن . واعتمد فيما يتعلق بالهند على مؤلفى العصر الإسكندرى ولا سيما ميجاسثنيس . وكان أرتميدوروس يطمع فى تأليف كتاب يشمل العالم المأهول بأسره ، إذ قام مرتين بحساب طوله وعرضه

بدون مقاييس فلكية . . ويبدو أنه رفض حرص كل من إراتوستنيس وهيبارخوس على استخدام خطوط الطول والعرض، وأظهر اهتماماً أكبر بالمسافات الجغرافية. ومعنى ذلك أنه اعتمد فى عمل خرائطه على الرحلات والمقاييس الفلكية . ويجب عند الحكم على طريقته أن نذكر أن مقاييس خطوط العرض لم تكن دقيقة ، وأن مقاييس خطوط الطول كانت أكثر خطأ . ومع العلم بأن الخريطة التى تقوم على أساس الرحلات تكون من الناحية النظرية أقل دقة من خريطة تقوم على أساس النسب بين خطوط الطول والعرض ، فإنها فى مجال التطبيق العملى لا تكون أسوأ كثيراً . ومن ناحية أخرى قلّت قيمة الرحلات كثيراً نظراً لعدم وجود شىء من أدوات الإرشاد المغناطيسى[٨] .

## يودكسوس الكيزيكى[٩] :

يعتور الشك قصة يودكسوس كما رواها سترابون بسبب غرابتها ، غير أنى شخصياً لا أظن أنها بعيدة الاحتمال : وخلاصتها أن هذا الرجل أرسلته مدينته كيزيكوس فى بعثة إلى الإسكندرية ، وقابل حين إقامته هناك بحاراً هندياً ، وكان هذا البحار هو الوحيد الذى نجا من سفينة تحطمت على ساحل البحر الأحمر ، ولم تكن مثل هذه الحوادث نادرة، لأن الصخور المرجانية فى ذلك الساحل شديدة الخطورة . وحكى البحار الهندى مغامراته واقترح أن يتولى قيادة رحلة إلى الهند ، إذا جهز الملك سفينة لهذا الغرض ، وهو الملك بطلميوس يوئرجتيس الثانى ، أو فيسكون الذى امتد حكمه إلى سنة ١١٦ ق.م . وأمكن تحقيق ذلك الاقتراح والتحق يودكسوس بهذه السفينة ، التى أبحرت إلى الهند وعادت منها ، واستطاع الملك أن يستولى على حمولة السفينة الغالية ، لكن العائدين من البحارة أحضروا معهم شيئاً هاماً لم يستطع الملك أن يسلبه منهم ، وهو المعرفة بالرياح الموسمية الجنوبية الغربية ، وهى الرياح التى تسهل الملاحة من باب المندب فى البحر الأحمر إلى خليج عدن وبحر العرب . وسوف نعود إلى هذه النقطة بعد قليل ، بعد الانتهاء من قصة يودكسوس .

ثم قام يودكسوس برحلة ثانية إلى الهند ، وفى هذه المرة أحضر معه حلية مأخوذة من مقدم سفينة ، واتضح أن السفينة جاءت أصلا من مدينة قادس فى إسبانيا . فاستنتج يودكسوس أن هذه السفينة لا بد أبحرت حول أفريقية ، فقرر أن يفعل هو ذلك . فأبحر إلى قادس ثم اتجه جنوباً على طول الساحل الغربى لأفريقية ، غير أنه فقد فى الطريق ، ولم يعرف أحد عنه شيئاً.

والواضح أن الجزء الأول من هذه القصة هو الجزء العظيم الأهمية ، وهو اكتشاف الرياح الموسمية[١٠] . إذ كان هذا الاكتشاف مما لا يمكن المبالغة فى أهميته العالمية ؛ لأن السفر من البحر الأحمر إلى ساحل ملبار بالهند ، والعودة ثانية من الهند إلى البحر الأحمر أصبح ممكناً على خير وجه ، وذلك بالسير فى اتجاه الرياح الموسمية ، مع العلم باستحالة السير فى عكس اتجاهها . فهل اكتشفها يودكسوس أو غيره من أهل الغرب؟ ذلك أن اكتشافها ينسب عادة إلى هيبالوس ، ولكن يختلف العلماء حول زمن هذا الاكتشاف ، فيقول بعضهم إن هيبالوس عاش بعد الإمبراطور أغسطس ، ويقول آخرون[١١] إنه ينتمى إلى العصر البطلمى المتأخر . وبصرف النظر عن هيبالوس ، يبدو من المحتمل أن سفن البطالمة المتأخرين أبحرت إلى الهند ، ولكن الرحلات الأولى المباشرة عبر المحيط الهندى إلى الهند الجنوبية لم تكن قبل سنى ٤٠ — ٥٠ بعد الميلاد[١٢] . وبسط البطالمة المتأخرون سلطانهم على مضيق باب المندب ، وفى عام ٧٨ ق.م .— إن لم يكن قبل ذلك — كان القائد العام لمصر العليا هو أيضاً قبطان البحر الأحمر والمحيط الهندى . وزاد عدد الهنود فى مصر أكثر من ذى قبل ، وأصبحت منتجات جنوب الهند أكثر وفرة فى أسواق مصر وأوربا مثل الفلفل . يضاف إلى ذلك أن اتجاه الملكة كليوباترا السابعة نحو التفكير فى أن تترك البحر المتوسط وأن تحكم فى المحيط الهندى دليل على أن التجارة مع الهند كانت نامية فى عصرها ( توفيت سنة ٣٠ ق.م.) ، علماً بأن هذه التجارة لم تكن لتنمو نمواً ذا بال دون الاستفادة التامة من الرياح الموسمية .

لننتقل الآن إلى القرن الأول ق.م حين كان علماء الجغرافيا ثلاثة من كبار الشخصيات : بوسيدونيوس وسترابون وازيدوروس .

**بوسيدونيوس الأفامى** : ( القرن الأول ق.م)[١٣] :

سبق لنا أن ذكرنا بوسيدونيوس مرات عديدة، وسوف يقابلنا اسمه مراراً فيما يلى ؛ إذ شملت ثقافته جميع ألوان المعرفة فى عصره . لكن من الخطأ أن نقارن بينه وبين أرسطو ، أو أن نطلق عليه اسم أرسطو العصر الهلنستى ؛ لأن عظمة أرسطو لا ترجع إلى سعة معرفته بقدر ما ترجع إلى رجحان آرائه وصوابها . ومن المعروف أن بوسيدونيوس كان آخر العلماء الذين اتخذوا من المعرفة كلها موضوعا للدراسة فى عصر ما قبل الميلاد . غير أنه لم يتصف بشىء من عبقرية أرسطو فى استنباط النظرية من الجزئيات. وبقدر ما نستطيع أن نحكم من الشذرات التى وصلت إلينا من مؤلفات بوسيدونيوس يبدو أن هذا الرجل كانت تغلب عليه نزعات من الخيال والتصوف ، ولعل من الأصوب أن نصفه بأنه كان أكثر الرحالة القدماء ذكاء[١٤] ، وكفاه ذلك فخراً ، وكم من فصل قيم عند سترابون مأخوذ عنه .

وكتب بوسيدونيوس كتاباً فى موضوع المحيط حيث أعاد فكرة إراتوستنيس من أنه ليس هناك سوى محيط واحد[١٥] . وسافر بوسيدونيوس كثيراً ، لا على امتداد سواحل البحر المتوسط فحسب ، بل أوغل فى داخل البلاد مثل إسبانيا وجاليا وإنجلترا . وكانت له ملاحظات كثيرة تتعلق بالجغرافية البشرية والطبيعية ، وأقام بوسيدونيوس شهراً كاملا فى قادس، حيث درس ظاهرة المد والجزر ، وكان من أوائل من أرجع هذه الظاهرة إلى تأثير الشمس والقمر ، كما لفت النظر إلى اختلاف ارتفاع المد فى حالة اكتمال القمر وفى حالة التربيعين. ودرس بوسيدونيوس ظاهرة الزلازل والبراكين وظهور جزيرة بركانية جديدة فى مجموعة جزر الليبارى أو الجزر الأيولية ( شمالى صقلية) . كما زار مناجم جنوب

إسبانيا وجاليا ، ووصف ممراتها ومصارف مياهها . وشهد بوسيدنيوس ظاهرة صخور الملح ، ووصف سهل كراو بالقرب من مصب الرون ، كما لاحظ وفرة الحصى المستدير المنتشر هناك ، ويمكن جمع هذه التفصيلات وأشباهها من جغرافية سترابون ، الذى اقتبس منه كثيراً .

وحاول بوسيدونيوس أن يدخل تحسينا على تقدير إراتوستنيس لحجم الأرض، بأن أنقص خطأ طول محيطها من ٢٥٠٫٠٠٠ إلى ١٨٠٫٠٠٠ فرسخ ، ومن ناحية أخرى بالغ بوسيدونيوس فى تقدير طول قارة أوراسيا ، وذكر أنه إذا أبحر رجل من ساحل الأطلنطى غرباً إلى مسافة ٧٠٫٠٠٠ فرسخ فإنه يستطيع بذلك أن يصل إلى الهند . وكان لهذا الخطأ نتائج بعيدة المدى ، إذ ظهر هذا الخطأ فى صورة أو أخرى فى مؤلفات سترابون وبطلميوس وروجر بيكون وبيرد إلى ( عام ١٤١٠ م. ) ، كما زاد من تفاؤل كولومبوس ، وكان السبب فى اكتشافه للعالم الجديد ، لا الأطراف الشرقية من قارة أوراسيا .

**سترابون الأماسى** ( القرن الأول ق. م . ) :

التعريف الصحيح بالجغرافى سترابون هو أنه مؤلف كتاب « الجغرافيا »، وكل ما نعرفه عنه مستمد من هذا الكتاب الذى يعد أهم مؤلفاته ، وهو الكتاب الوحيد الذى بقى لنا من هذه المؤلفات ، ونستنتج منه أن سترابون ولد حوالى عام ٦٤ ق.م فى مدينة أماسيا[١٦] ، التى يفرد لها وصفا يدل على محبته لهذه المدينة . وينتمى سترابون إلى أسرة ذات شأن ، عمل بعض أفرادها فى خدمة ملوك بنطس وهم : مثراداتيس الخامس يوئرجيتيس ومثراداتيس السادس يوباتور ، حيث كانوا قادة عسكريين وحكاماً وكهنة للالهة ما ( بيلونا ) . وتنحدر أسرة سترابون من فرعين مختلفين ، يونانى وأسيوى ، ولكن كان سترابون يونانيًّا محضاً فى لغته وعاداته . ولا بد أن أسرته عاشت فى رغد من العيش مما مكنه من أن ينال قسطاً وافراً من التعليم . وبعد أن أتم سترابون مراحل التعليم الأول فى البيت أرسل إلى نيسا ( بالقرب من مدينة تراليس فى إقليم كاريا)،

حيث درس النحو والأدب على يد أريستوديموس . وفى سنة ٤٤ ق.م ( وهو فى العشرين من عمره ) ذهب سترابون إلى روما لمتابعة دراسته العليا . وتتلمذ على أيدى تيرانيون الأميسوسى[١٧] ، وهو العالم النحوى والجغرافى ( ولعل هذا العالم هو الذى أجاز لاسترابون الاشتغال بالجغرافيا) . وكان من أساتذة سترابون كذلك كسينارخوس السليوكى فى إقليم قيليقية ، وهو أحد الفلاسفة المشائين . وعرف سترابون عدداً من الرواقيين أمثال بوسيدنيوس و بؤيتوس[١٨] الصيداوى وأثينودوروس الطرسوسى فى قيليقية . ولذا صار سترابون رواقيا متحمساً للرواقية ، وأدرك ضرورة الأساطير والطقوس والأسرار الدينية لعامة الناس ، ولكن ديانته هو كانت « الرواقية » .

كان سترابون رحالة عظيماً ، ولكن ليس بالقدر الذى يوحى به كتابه « الجغرافيا » أو ما يذكره هو عن نفسه ( انظر سترابون — ج٢ ، ف ٥ ، ١١)[١٩] وسافر سترابون من أرمينيا شرقا إلى إيطاليا غرباً ، وزار بلاد اليونان ( على الأقل كورنثه) ومصر — حيث صعد فى النيل حتى أطراف إثيوبيا ، وكان سترابون على معرفة واسعة بكثير من بقاع آسيا الصغرى ، واستمد الكثير من معلوماته من الكتب ، أى الكتب اليونانية ، إذ أن ما كان من الكتب الجغرافية بلغات أخرى قليل فى هذا المجال .

ويشير سترابون فى كتاب الجغرافيا إلى بعض مراحل حياته : فكان فى روما فى سنة ٤٤ كما كان بها فى سنوات تالية ، ٣٥ ، ٣١ ، ٢٩ ، ٧ ق.م وأقام سترابون فى مصر من سنة ٢٥[٢٠] إلى سنة ٢٠ أو بعد ذلك . وحصل سترابون على الكثير من معلوماته فى مكتبة الإسكندرية ( إذ لا يمكنه فى غيرها أن يحصل على جميع ما احتاج إليه من مؤلفات ) . وعاش سترابون متمتعاً بمجده فى عصر الإمبراطور أغسطس كله وبداية حكم تيبريوس ( ١٤ — ٣٧ م.) ومن المحتمل أنه أمضى أعوامه الأخيرة فى بلدته أماسيا ، ومات فى سنة ٢١ م . أو بعد ذلك .

وألف سترابون كتابين عظيمين : أحدهما فى التاريخ ، وهو مفقود ،

وثانيهما فى « الجغرافيا » ، وهو الذى وصلنا كاملا تقريباً ، ويعد هذا الكتاب أحد أعلام التراث القديم . وهو مقسم إلى سبعة عشر جزءاً ، مشتملة على وجه التقريب على ما يأتى :

١ — ٢ مقدمة. وهى تاريخية إلى حد ما ، حيث ينتقد هوميروس وإراتوستنيس ، ويناقش بوليبيس وبوسيدونيوس ويودكسوس الكيزيكى ، كما يتحدث عن الجرافيا الرياضية وشكل الأرض ورسم الخرائط على سطح كروى وسطح مستو. ويصر على القول بوجود محيط واحد فقط ، بدليل حدوث المد والجزر فى كل مكان ، وعلى هذا يستطيع الإنسان أن يبحر من إسبانيا إلى جزر الهند الشرقية (ك ١ ، ب ١ ، ف ٨ ) .

٣ — إسبانيا وجزر كاستيريدس .

٤ — جاليا وبريطانيا وغيرهما .

٥ — إيطاليا الشمالية والوسطى .

٦ — جنوب إيطاليا وصقلية . الإمبراطورية الرومانية .

٧ — أوربا الوسطى والشرقية ( الجزء الأخير من هذا الجزء مفقود ) .[٢١]

٨ — جزائر البلوبونيز .

٩ — اليونان الشمالية .

١٠ — الجزر اليونانية .

١١ — منطقة البحر الأسود ، وبحر الخزر وجبال طورسوس وأرمينيا .

١٢ — ١٤ آسيا الصغرى .

١٥ — الهند وفارس .

١٦ — بلاد ما بين النهرين وسوريا وبلاد العرب وساحل إثيوبيا .

١٧ — مصر .

وهذا الكتاب دائرة معارف جغرافية ، وتختلف أجزاؤه بالضرورة من حيث القيمة العلمية . وتوجد حول جغرافية سترابون مؤلفات حديثة كثيرة ، وأكثرها أهمية بحوث قام بها علماء تخصصوا فى دراسة مختلف الأقاليم . وليس هنا مجال إعادة الحديث من هذه الدراسات ، فهى كثيرة جداً .

ولنقتصر على بحث بعض الأسئلة العامة ، أولا ، ما هو هدف سترابون ؟ المعروف أنه أراد أن يكتب وصفاً جغرافيا للعالم ، ولكن نظراً لأن تعليمه الأصلى كان أدبياً بحتاً ، فإنه لم يحفل بالجغرافيا الرياضية ، التى ازدراها دون معرفة كافية بها ، ودون فهم حقيقى لمشكلاتها . ومن ناحية أخرى كان سترابون شديد الاهتمام بالناس ، وغلب عليه التفكير الفلسفى ، فالجغرافيا عنده طبيعية ، ومع ذلك كان الطابع البشرى والتاريخى والأثرى أكثر ظهوراً ، إذ أراد أن يقدم لقرائه فكرة عامة عن مسطح الأرض ، أى طبيعتها ( من حيث الأنهار والجبال وما إلى ذلك ) ؛ ثم اختلافات أقاليمها ، وبعد ذلك يشرح كيف عاش الناس فى كل إقليم ، وأى نوع من الناس هم . وتضمن ذلك عرضا للتقلبات والتغيرات التى طرأت عليهم وأعمالهم ، وذكراً لمدنهم ( ومتى أسست ؟ ) فضلا عن الطرق ، والمسالك والمعالم العامة ، وعظماء الرجال .

ونظراً لكونه رواقياً ، تقبل سترابون المبادئ العامة فيما يختص بعبادة النجوم ، ولكنه لم يتطرف فى اعتناق مذهب التنجيم ، وليس هناك ما يثبت أنه اعتقد فى الجينيثليا لوجيا ، أى قراءة الطالع تبعاً للأفلاك السماوية . بل كان ملماً بما قام به المصريون وكهنة الكلدان من دراسات فلكية[٢٢] .

وذكر أن الفينيقيين أهل مدينة صيدا هم الذين نقلوا مبادئ علم الفلك والحساب إلى اليونان[٢٣] .

وفى مجال السياسة كان سترابون متحيزاً قطعاً لجانب روما ، إذ أدرك أن عصر الإمبراطور أغسطس جلب للعالم عناصر السلام والوحدة (انظر ج ٦ ، فصل ٤ ، فقرة ٢) ، بدليل أن ذلك العصر قضى على القرصنة التى كانت متفشية فى شرق البحر المتوسط ، واستتب الأمن للسفر والتجارة فضلا عن

الرخاء . وكان سترابون فخوراً بشرقيته ، ولم يترك مناسبة دون أن يذكر العلماء الذين ولدوا فى الشرق، وبرغم إعجابه الشديد بالحكومة الرومانية ، فإنه لم يحفظ أى احترام للعلماء الرومان ( وله العذر فى ذلك ) .

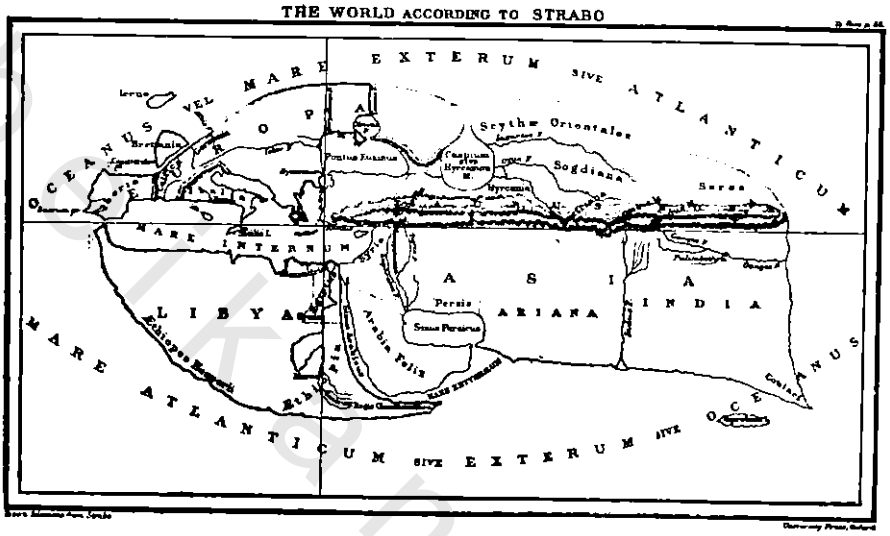


شكل ٨٠ – خريطة العالم كما تصورها سترابون ( فى القرن الأول ق . م . )

وتوجد مناقشات كثيرة حول تاريخ كتاب الجغرافيا . ولعل الجزء الأكبر من المعلومات الواردة بهذا الكتاب كانت من جمع سترابون قبل أن يغادر الإسكندرية ( حول عام ٢٠ ق.م.) ، ثم انتهى سترابون فى سنة ٧ ق.م . من النسخة الأولى من هذا الكتاب. ولم يستخدم خريطة الجغرافى أجريبا ، التى لم تكن نشرت بعد فى ذلك العام . أما قائمة الولايات الرومانية الواردة فى آخر صفحة من هذا الكتاب ، فقد قام سترابون بكتابتها فى تاريخ لا يتجاوز سنة ١١ق.م . ، ثم راجعها بنفسه سنة ٧ق.م . وهو بعيد عن روما . ثم راجع سترابون الكتاب كله فى مدينة أماسيا حوالى عام ١٨ م ، كما هو واضح من ذكره للإمبراطور تيبريوس (الذى ابتدأ حكمه سنة ١٤ م.) فى حوالى عشرين موضعاً من هذا الكتاب .

وكان سترابون مدركاً لضخامة كتابه ولأهميته ، حتى أطلق عليه وصف

التأليف الضخم ، وكان كذلك ، حتى إن الباحث لا يستطيع إلا أن يسأل كيف أمكن لرجل واحد أن ينجز مثل هذا العمل الكبير . الواقع أن عملا فى مثل حجم هذا الكتاب فى زماننا نحن لا يمكن إلا أن تقوم به أكاديميات أو جامعات ويشرف على تنفيذه مديرون ، يشرفون على عدد من العلماء والمساعدين ، ويستخدمون أنواعاً شتى من الأدوات الحديثة . ومن حسن حظنا أن لدينا بفضل سترابون هذا الوصف الجغرافى المستفيض للعالم الغربى زمن الإمبراطور أغسطس ، مضافاً إليه كمية كبيرة من المعلومات التاريخية والأثرية والبشرية ، وكذلك أخبار التجارة والصناعة ، وجوانب أخرى .

ولم يتخيل سترابون أفراد قرائه على أنهم جماعة من علماء الجغرافيا ؛ لأن أمثال أولئك لم يكونوا وجدوا بعد ، ولكنه تخيلهم من الساسة ورجال الأعمال ، وغيرهم من المتعلمين فى عصره ( انظر ج١ ، فصل ١ ، فقرة ٢٢ — ٢٣ ) ، ولذا كان هؤلاء القراء قليلين ، ولكنهم كانوا رجالا على جانب كبير من الذكاء بحيث لا يقلون عن خير رجال عصرنا .

وبرغم أن سترابون لم يكن عالما طبيعيًّا ، فإن جغرافيته تصف كثيراً من الحقائق الطبيعية الهامة التى يتناولها هو بروح ناقدة . ومثال ذلك أن سترابون فسر تكوين الجبال بفعل حركات الضغط الداخلية ، وأن وادى تمبى فى إقليم تساليا ببلاد اليونان نتج عن زلزال . وكان سترابون يعتقد أن السبب فى الظواهر البركانية هو القوة المتفجرة فى الرياح الحبيسة داخل الأرض ، واعتبر البراكين نوعاً من صمامات الأمن[٢٤] . وأرجع سترابون ظهور جزر البحر المتوسط إلى انفصال عن جسم الأرض بواسطة الزلازل أو بفعل البراكين ، وقصد بذلك جزر الليبارى ، شمال شرق صقلية . وكرر سترابون من جديد وبوضوح تام النظرية القديمة القائلة بأن الأرض والبحر كثيراً ما تبادلا موقعيهما ، ودلل على ذلك بعدد من الأمثلة التى زالت فيها مساحة من الأرض ، والتى ارتفعت فيها مساحات أخرى . وبعض هذه الأمثلة محدود بمكان معين ، وبعضها الآخر واسع الانتشار . فمثلا عند الحديث عن واحة آمون يقول : « كان معبد آمون

من قبل عند ساحل البحر ، ولكنه الآن فى الداخل ، بعد أن انحسر عنه الماء »[٢٥] . ويذكر سترابون أن وجود بقايا أصداف متحجرة فى أماكن مختلفة يثبت أن الأراضى فى مصر السفلى حيث توجد هذه البقايا كانت فى الماضى مغمورة بالماء . ويرجع سترابون السبب فى زوال بعض المساحات الأرضية إلى الزلازل ، وأن ظاهرة أخرى مثل هذه تستطيع أن تقضى على برزخ السويس وتفتح الطريق بين البحر المتوسط والبحر الأحمر[٢٦] . ويسجل سترابون ملاحظات عديدة عن القوة التحاتية للماء ، وعن التراكمات الطمية عند مصبات الأنهار أو على امتداد مجراها . ويحدثنا سترابون كذلك عن صناعة الملح واستخراجه من عيون المياه المعدنية ، وعن مناجم الفضة فى إقليم لوريون ، وصناعة الزجاج فى الإسكندرية ، وصناعة السواقى ، وبناء المزلق الذى تتحرك فوقه السفن فى برزخ كورنثه ، كما يحدثنا عن القناة القديمة التى تصل النيل بالبحر الأحمر ، وهى القناة التى كانت تنتهى عند ميناء أرسينوى ، وكانت تغلق بواسطة بوابة مزدوجة للوقاية على سبيل الاحتياط من تغير التيار وللسماح بمرور السفن فى الاتجاهين .

لم يكن سترابون أديباً فناناً ، ولكنه أتقن فن الكتابة كما يمكن أن يتقنه عالم ؛ وكان واسع الثقافة ، صحيح اللغة ، واضحاً دون أن يسعى إلى المحسنات اللفظية . وقد يجده أصحاب الذوق الأدبى مملا يسير على وتيرة واحدة ، ولكن مما لا شك فيه أنه اجتهد فى تأليفه أصدق الاجتهاد ، وبذل أقصى ما يستطيع ليدخل عليه التنوع ، وليعطى قارئه الكثير من القصص مما يتفق والغاية الصارمة التى ارتسمها لنفسه . ويتفوق كتاب سترابون كثيراً من ناحيتى الأسلوب والمضمون عن الجزء الجغرافى من كتاب بلينى عن التاريخ الطبيعى .

وذكر سترابون أن أرسطو كان أول من اقتنى الكتب ، وأن ملوك مصر احتذوا حذوه بعد ذلك[٢٧] . وهذه العبارة صحيحة فى جملتها ، لأنه ربما لا يكون أرسطو أول من اقتنى كتباً ( وما معنى ذلك ؟ وكم كتاباً يجب أن يمتلك الفرد ليصبح صاحب مكتبة ؟ ) ، ولكن مما لا شك فيه أنه بفضل تأثيره — وهو

التأثير الذى انتقل إلى مصر بواسطة ديمتريوس الفاليرى وستراتون — قرر البطالمة الأولون تأسيس مكتبة الإسكندرية .

وتفوقت دراسات سترابون تفوقاً كثيراً على أسفاره ، إذ قرأ جميع الأدب اليونانى الذى وصل إلى يده ، مبتدئاً بقصائد هوميروس . وكان شديد الإعجاب به ، شأنه فى ذلك شأن جميع اليونان . وبالغ سترابون فى تقدير القيمة الجغرافية لعقيدة الأوديسة ، مع العلم بأن إراتوستنيس كان يميل إلى التقليل من هذه القيمة . على أن أغنى مصادر سترابون هو معاصره الذى يكبره ، واسمه بوسيدونيوس . وسترابون هو الذى حفظ للأجيال التالية تقدير بوسيدونيوس الخاطئ عن حجم الأرض .

ونظراً لما لكتاب « الجغرافيا » — وهو كتاب فريد فى نوعه — من قيمة عملية هائلة للساسة ورجال الإدارة فى الإمبراطورية الرومانية ، فإننا نعجب لقلة ما لقى سترابون من اهتمام القدماء به . هل كان ذلك لإخفاء النسخ الأولى من هذا الكتاب بواسطة أصحابها لا ستخدامها فى الأغراض العملية ، وليس للأغراض العلمية ؟ وليس هناك — فيما أرى — تفسير آخر . ذلك أن المؤرخ يوسيفوس هو الوحيد الذى عرف هذا الكتاب . على حين لم يعرفه أحد من اليونانيين ولا بطلميوس نفسه ، ولا عالم رومانى حتى بلينى ، رغم صعوبة تصور ذلك . وربما يكون هذا الإهمال لاسترابون من ناحية القدماء هو السبب فى عدم وجود ترجمة عربية له ، إذ بقى سترابون مجهولا للجغرافيين المسلمين ومؤرخيهم .

ثم حدث فى العصر البيزنطى أن اكتشف كتاب الجغرافيا على يد ستيفانوس البيزنطى ( فى القرن السادس ) . واستخدمه يوستاثيوس التسالونيكى ( فى القرن الثانى عشر ) ومكسيموس بلانوديس ( فى القرن الثالث عشر ) . غير أن أقدم مخطوط وصل إلينا هو المخطوط الباريزى رقم ١٣٩٧ ، ويحتوى الأجزاء العشرة الأولى فقط ، أما الأجزاء السبعة الأخيرة فمصدرها ثلاث مخطوطات متأخرة ، وهى مخطوطات الفاتيكان رقم ١٣٢٩ ، ومختصر الفاتيكان ، والبندقية رقم ٦٤٠ .

أما بداية طبع هذا الكتاب فترجع إلى جوارينو الفيرونى (١٣٧٠ — ١٤٦٠ تقريباً ) وهو الذى أحضر معه من القسطنطينية مخطوطة يونانية . وترجم منها الأجزاء العشرة الأولى إلى اللاتينية، أما الجزءان ١١ — ١٢ فقام بترجمتهما جريجوريو تيفرماس . وتم طبع الكتاب كله بواسطة سوينهيم و بانارتز فى روما سنة ١٤٦٩ ( انظر شكل ٨١) ، وأعيد طبعه خمس مرات قبل عام ١٥٠٠ وهى البندقية ١٤٧٢ ، و روما ١٤٧٣ ، وتريفيز و ١٤٨٠ . والبندقية ١٤٩٤ و ١٤٩٥ . وقام بطبع المخطوط اليونانى الأصلى ألدوس ، بالبندقية ١٥١٦ ( انظر شكل ٨٢) ، كما قام فلهلم كسيلاندر بإعداد طبعة لاتينية منقحة ( بال — هنريفوس بترى ١٥٧٠) ، وكانت هذه الطبعة اللاتينية أول الطبعات الجيدة من هذا الكتاب .

ثم نشر إسحاق كازوبون النص اليونانى مرة أخرى ، وأضاف إليه ترجمة كسيلاندر ( جنيف ١٥٨٧) . وكذلك قام يانسون دى أميلوفين الهولندى بطبعة أخرى ممتازة ( أمستردام ١٧٠٧) .

ونشر أديمانتوس كوريه نصًّا يونانيًّا جديداً فى أربعة مجلدات ، باريس ١٨١٥ — ١٨١٩ ( انظر شكل ٨٤) ، ومعه ترجمة فرنسية فى خمسة مجلدات ، باريس ١٨٠٥ — ١٨١٩ ( انظر شكل ٨٥ ) . وكانت هذه الترجمة بناء على أمر نابليون ، واشترك فيها ثلاثة من علماء فرنسا هم : لا بورت دى تيل وليتر ون وجوسلان .

أما أحسن طبعة من هذا الكتاب فهى التى قام بها أغسطس مينيكه ، وهى التى نشرها تويبنر ( ليبزج ١٨٥٢ — ١٨٥٣ ) ، وأعيد طبعها مراراً فى ثلاثة مجلدات .

أما الطبعة اليونانية الإنجليزية فى سلسلة لويب الكلاسيكية . فابتدأها جون روبرت ستلنجتون . وأتمها هوراس ليونارد جونز ( ثمانية مجلدات — ١٩١٧ — ١٩٣٢) .

وهذه المعلومات مستمدة من المصادر التالية التى اعتمد عليها المؤلف هنا فى دراسة تاريخ كتاب الجغرافيا لاسترابون ، وهى :

Marcel Dubois, Examen de la geographie de Strabon ( 416 pp., Paris : Impremerie Nationale, 1891),

وفيه يعرض لما ظهر من كتب تتعلق بدراسة سترابون حتى سنة ١٨٩٠.

Ernst Honigmann, in Pauly-Wissowa, Real-Encyclopadie (2) 7, 76 — 155, 1931

Henry Fanshawe Tozer, Selections from Strabo (388 pp., 6 maps; Oxford : Clarendon Press, 1893); Selections in Greek with notes.

إزيدورس الخاراكسى [٢٨] :

نستطيع أن نختم القسم اليونانى من هذا الفصل بكلمة موجزة عن إيزيدورس هذا ( فى نهاية القرن الأول ق.م.) ، وكان معاصراً لا سترابون ، ولو أنه يستحيل علينا أن نقول إنه ظهر قبل ميلاد المسيح أو بعده ، ومن الأسهل علينا أن نعده من الجغرافيين من عصر الإمبراطور أغسطس ، بل لعله قام بعمله بتكليف من أجريبا . على أن سترابون لم يذكر إيزيدورس فى جغرافيته ، ولكن بلينى حفظ لنا فقرات من كتاب إيزيدورس الذى عنوانه وصف العالم ، كما حفظ لنا أثينيوس النقراطيسى فقرة من كتابه «رحلة حول بارثيا» ، وهى فقرة خاصة بصيد اللؤلؤ . ولدينا نص كامل لكتاب إيزيدورس الذى عنوانه « محطات السفر فى بارثيا »، وهو كتاب يصف طريق القوافل من أنطاكية إلى الهند [٢٩] . وهو دليل طيب لإرشاد المسافرين والتجار وموظفى الدولة ، ومن نوعه جمعت بضعة كتب فى عصر الإمبراطور أغسطس ، وسوف نعود للحديث عنها عند ذكر أجريبا فيما يلى .

# علم الجغرافيا عند اللاتين

يقلّ عدد ما وصلنا من المؤلفات اللاتينية كثيراً عن عدد المؤلفات اليونانية، وتبدأ المؤلفات اللاتينية فى الظهور فى نهاية عصر ما قبل ميلاد المسيح. وسنبدأ حديثنا بشخص على جانب كبير من الأهمية وهو يوليوس قيصر.

**يوليوس قيصر :**

سوف نبحث فى الفصل الرابع والعشرين كتب يوليوس قيصر المعروفة باسم التعليقات (حوالى ٥٢ — ٥٠ ق.م.)، ولكن ينبغى أن نتحدث هنا عن أساسها الجغرافى. وهذا عسير، لأن معلومات يوليوس قيصر الجغرافية قليلة، والفقرات التى تتضمن قدراً من الجغرافيا يقال إنها إضافات كتبت بعد قيصر. ويقال كذلك إن قيصر استخدم «مساعد بحوث» له فى كتابة بعض الفقرات الجغرافية الخاصة ببلاد الجرمان وغابة هركينيا[٣٠]، وأنها مأخوذة عن جغرافيين يونانيين، ولا ينبغى أن يثير ذلك فى صدورنا شيئاً من الخلط، فإن مساعدى البحوث لا يتوقعون الاعتراف بجهودهم. أما موضع الأهمية فهو أن الكثير من معلومات يوليوس قيصر مأخوذ عن كتب يونانية، سواء قام هو بذلك — وكان يعرف من اليونانية ما يمكنه من ذلك — أو بمساعدة كاتب. على أن أهم مصادره من الكتب الجغرافية هى إراتوستنيس وبوليبيوس وبوسيدونيوس، وإلى جانب ذلك حصل يوليوس على قدر كبير من المعلومات من أهل البلاد التى نزل بها، سواء أكان أولئك من الأسرى أم من غيرهم، لأن أسماء الأماكن والقبائل كانت مستقاة من مخبرين محليين، ويذكر شيشرون أنهم كانوا من الكثرة حتى إنه فى كل يوم كانت تأتى إليه أخبار جديدة بأسماء لم تكن معروفة من قبل[٣١].

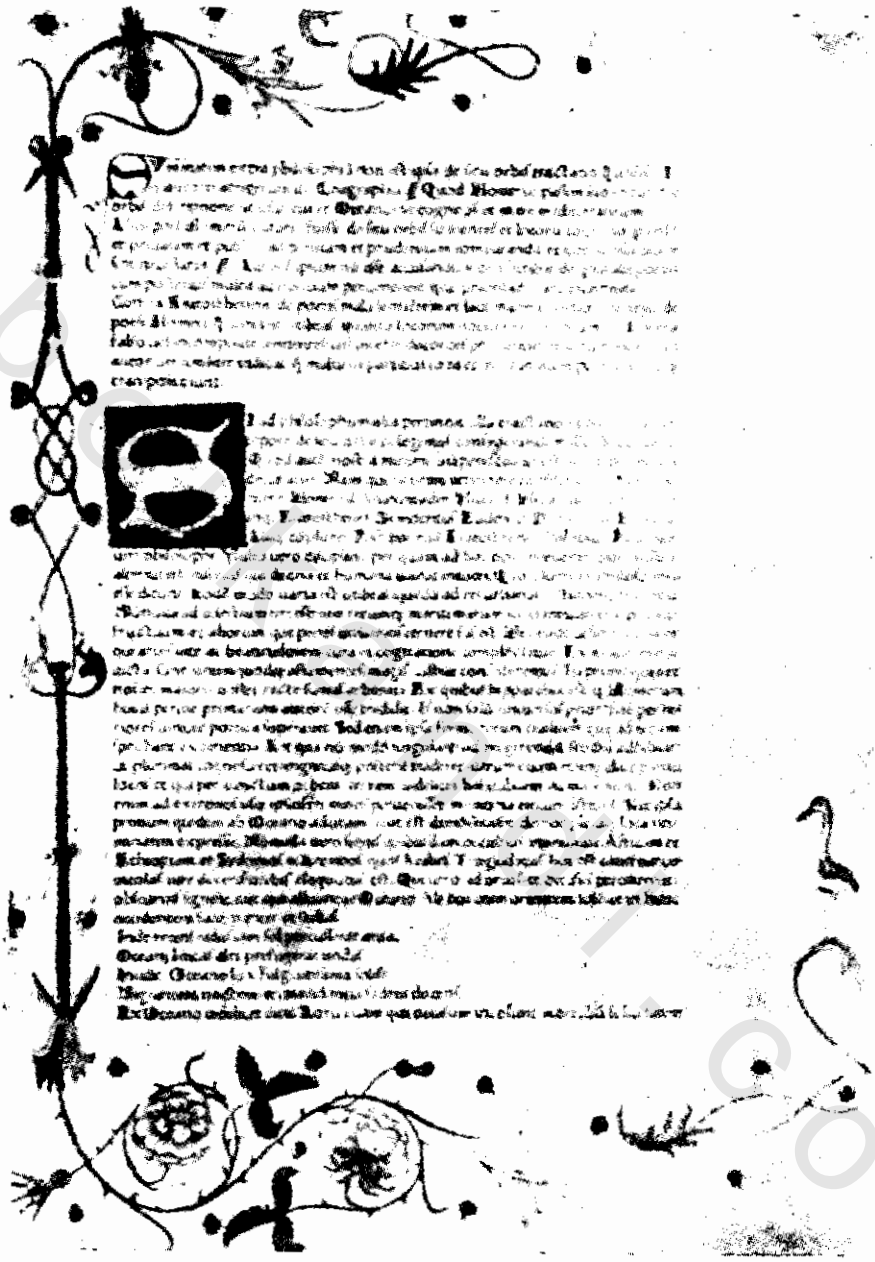

شكل ٨١ — الترجمة اللاتينية لكتاب الجغرافيا لاسترابون التى قام بها جوارينو الفيرونى (Rome : Sweynheym and Pannartz, 1469) . وهى بداية المطبوع من كتاب الجغرافيا لاسترابون . وترجع أهميته إلى أن جوارينو استخدم مخطوطات يونانية (مفقودة الآن) وهى مخطوطات أفضل مما استخدمه ناشر النص الرئيسى .

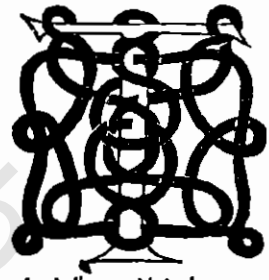

ΣΤΡΑΒΩΝΟΣ ΓΕΩΓΡΑΦΙΚΩΝ

ΒΙΒΛΙΟΝ ΠΡΩΤΟΝ.

Εἰς τὸ φιλοσόφου πραγματείαν εἶναι νομίζομεν ἀπὸ ἄλλου τινὸς, καὶ τὴν χωρογραφικὴν, ἣν νῦν προκείμεθα ἐπισκοπεῖν. οὐκ ἀδοξοῦντος δὲ τοῦ φιλοσόφου νομίζομεν, ἐκ πολλῶν δῆλον. οἵ τε γὰρ πρῶτοι θαρρήσαντες καὶ τῆς ἀλαοσύνης, τοιοῦτοί τινες ὑπῆρξαν, Ὅμηρός τε, καὶ ἀναξίμανδρος ὁ Μιλήσιος, καὶ Ἑκαταῖος ὁ πολίτης αὐτῶν· καὶ ὅσοι καὶ δι' ἀστρονομίας φῶσι, καὶ δι' μαθημάτων δὲ, καὶ διόδους, καὶ διαφορὰς, καὶ ἄλλοι πολλοὶ τοιοῦτοι. ἔτι δὲ μᾶλλον πάντων, Ἐρατοσθένης τε καὶ πολύβιος καὶ ποσειδώνιος, ἀφορμὰς φιλοσόφους· ὅτε πολυμαθείας, δίχως μέντοι φιλοσοφίας τῆς δ' ὅλου ὅλως ἁπτόμενον, οὐκ ἄλλον τινὸς ἴδιον, ἢ τῆς τε θείας, καὶ τῆς ἀνθρωπίνης ὧν δὴ βλέπουσιν. ὧν πρὸ τὴν φιλοσοφίαν ἐπιστήμην φασίν. ὡς δ' αὕτως καὶ ἡ φιλία ποικίλη οὖσα, ἡ μὲν, πρὸς τὰ ἄλογα, καὶ τὰς ἀνημέτους πράξεις, ἡ δὲ, πρὸς ἐπιστήμην τῶν τε οὐρανίων, καὶ τῶν ὑπὸ γῆς, καὶ θαλάττης ζώων, καὶ φυτῶν, καὶ καρπῶν, καὶ τῶν ἄλλων ὅσα ἴδιον παρέσχηται ὅσι, τὸν αὐτὸν λόγον γραφῆς αἴσθοιτ' ἂν φέροντα τῆς τοῦδε τοῦ βίου τέχνης, καὶ βίβλου μονίασ'. ἀναλαβόντες δὲ καὶ δικαίως ἐπισκοπῶμεν τῶν εἰρημένων ὅτι μᾶλλον καὶ πρῶτον· ὅτι ὀρθῶς ὑπελήφθημεν καὶ ἡμεῖς, καὶ οἱ πρὸ ἡμῶν, ὧν ἴδιόν ἐστιν ἡ ἐπιτέχνησις, ἀρχὰς τὴν εἶναι τῆς χωρογραφικῆς ἐμπειρίας ὅμηρον, ὃς οὐ μόνον ὡς τὴν κατὰ τὴν ποίησιν ἀρετὴν πάντας ὑπερβέβληται τοὺς παλαι, καὶ τοὺς ὕστερον, ἀλλὰ καὶ δόξαν τινὰ καὶ τῇ κατὰ τὸν βίον ἐμπειρίᾳ τὸν πολιτικὸν ἀφῆκε οὐ μόνον ἐν τοῖς πράξεσι τοῖς κατὰ τὸν πόλεμον ἐκεῖνος ὅπως ὅτι πολίτας γνοίη καὶ παρασκευάσῃ τοὺς ὑφ' ἑαυτὸν ἰσομοίους, ἀλλὰ καὶ τοῖς τόποις τοὺς τε καθ' ἕκαστα, καὶ τοὺς κατὰ σύμπασαν τὴν οἰκουμένην γε τι, καὶ βάλαττάν. οὐ γὰρ ἂν μέχρι τῶν ἐσχάτων αὐτῆς πράξεων ἀφίκετο τὸ μνήμα κύκλῳ τοῖς ὠκεανῷ περίκλυστον ὡς πρὸ ὀλίγου ἀπέφηνον αὐτός. ἔπειτα δὲ τῶν χωρίων τὰ μὲν, ὠνόμαζε, τὰ δὲ, ὑπονοητικῶς τι κινούμενος ποιεῖ, λιβύην, καὶ αἰθιοπίαν, καὶ σηρικοὺς, καὶ ἀριμασπούς, οὓς εἰκὸς λέγειν τοὺς ἑνδελεχοῦντας ἀφάτους ἐντῶν λίτων, τοὺς δὲ πρὸς ταῖς ἀκτῖσι, καὶ δύσεσι αἰνιττόμενος ἐν τῷ τῷ ὠκεανῷ κλύζεσθαι. σαφέστατα γὰρ αἰσθόμενος ποιεῖ τὸν ἥλιον, καὶ δυόμενον εἰς ὄρος. ὡς δ' αὕτως καὶ τὰ ἄστρα.

» Ἡέλιος μὲν ἔπειτα νέον πρὸς βαθμὸν ἀρούρας
» Ἐξ ὠκεανοῖο βαθυρρέος ὠκεασοῖο.
» Ἐν δ' ἐπὶ ὠκεανῷ λαμπρὸν φάος ἠελίοιο,
» Ἕλκον νύκτα μέλαιναν. —

καὶ τοὺς ἀστέρας λιλαιομένους ὑπὸ ὠκεανοῦ λέγει. τῶν δ' ἀστερίων αἰσθόμενος, καὶ τὴν δύσιν μανίαν ἐμφαίνει, καὶ τὴν δύκρασίαν τῆς πρὸς ἑσπέραν τοπικῆς ἐπιτηδειότητος ὡς ἔοικε τῆς ἐκεῖθεν πλοῦν. ἐφ' ὃν καὶ ἡρακλῆς ἐξεπάτησε, καὶ οἱ φοίνικες ὕστερον. οἱ πρὸ καὶ κατόπιν τὴν πλεῖσταν ἀρχήν. μετὰ ταῦτα δὲ ῥωμαῖοι· ἐπὶ ταῦτα γὰρ αἱ τῆς ἡγεμονίας ἐπιδόσεις ἐγένοντο. ἐπὶ ταῦτα δὲ καὶ ὁ ἥλιος πορεύεται ὁ ποιητής· ἐς ὃ ἐπεμφήσας ἔστω τὸν μεγαλωστὶ φασιν ὠκεανόν.

» Ἀλλά σ' ἐς ἠλύσιον πεδίον καὶ πείρατα γαίης
» Ἀθανάτοι πέμψουσιν ὅθι ξανθὸς ῥαδάμανθυς.
» Τῇ περ ῥεῖα βιοτὴ πέλει ἀνθρώποισιν
» Οὐ νιφετὸς οὔτ' ἄρ χειμὼν πολυς οὔτε ποτ' ὄμβρος
» Ἀλλ' αἰεὶ ζεφύροιο λιγὺ πνείοντας ἀύτας

ὠκεανὸς δέ σι καὶ αἱ τῶν μακάρων εἰσὶ πρὸς τῆς μακρονησίτιδος ἑσπέρας πρὸς δύσιν. καθ' ὁμοίας σωζόμενοι καὶ ἐς τῆς ἠπείρου τὰ ταύτῃ πρόσω. ἐκ δὲ τῶν ὀνομάτων δῆλον ὅτι, καὶ ταύτας εἰσόμεζον δύσεις μονάσ', ἧς δ' ἀπωσαίμεθα ταύτας χωρεῖ εἰς ἀλαμῶν ὅλως γε, καὶ οἱ αἰθίοπες ἑκάτεροι ὧδε τῷ ὠκεανῷ δηλοῦσι. ὅτι μὲν ἔχεται τοι.

» Αἰθίοπες τοί δίχθα δεδαίαται ἐσχατοι ἀνδρῶν.
Οὐ δὲ τῆδε δίχθα δεδαίαται φαεθοντος λειγομένου. ὡς ἀνεχθέος τοῦ ὕδατος. ὅλως δ' ἐπὶ τῷ ὠκεανῷ.
» Ζεὺς γὰρ ἐς ὠκεανὸν μετ' ἀμύμονας αἰθιοπας — Χθιζὸς ἔβη μετὰ δαῖτα.
ὅλως δὲ, καὶ ἡ πρὸς ταῖς ἀρκτοις ἐσχατιὰ παρωκεανῖτις δύσιν, ὅπως ἂν ἐξέλθῃ ἀπὸ τοῦδε τῆ ἀρκτου.
» Οἵη δ' ἠμύσσῃ ὅθι λοιπὸν ὠκεανοῖο. — διὰ μὲν γὰρ τῆς ἀρκτου, καὶ τῆς ἀμάξης, τὸν ἀρκτικὸν

Strabo. a κ ε

شكل ٨٢ — المخطوط الرئيسي لكتاب الجغرافيا لاسترابون (folio,31 cm, 366 pp.,Venice Aldus, 1516)

وتبين فى الصفحة الأولى منه صغر حجم الحروف التى استخدمت فى الطباعة . ويلاحظ أن التصميم الزخرفى فى أعلى الصفحة ، والعنوان والحرف الأول الكبير مطبوعة كلها باللون الأحمر . كان ألدوس مانوتيوس ( ١٤٤٩ — ١٥١٥ ) يقوم بنفسه بنشر النصوص اليونانية ، وكان أكثر أهل عصره نشاطاً فى هذا المجال ، لكنه كان يجد مساعدين أحياناً . ومنهم ماركو موزوروس الكريتى اليونانى ( ١٤٧٠ — ١٥١٧ ) وغيره .

STRABONIS
RERVM GEO-
GRAPHICARVM
LIBRI XVII.
ISAACVS CASAVBONVS recenſuit, ſummoque ſtudio & diligentia, ope etiam veterum codicum, emendauit, ac Commentariis illuſtrauit, & ſecundis curis cumulatè exornauit, quæ nunc primùm prodeunt.
Accedunt FED. MORELLI Profeſſoris Reg. Decani, in totidem Geographiæ Oden commentaria.
LVTETIAE Parſiorum, Typis Regiis.
M. DCXX.
CVM PRIVILEGIO REGIS CHRISTIANISSIMI.

شكل ٨٣ – الطبعة اليونانية اللاتينية من كتاب الجغرافيا لاسترابون، وهى التى قام بها إسحاق كازوبون (باريس ١٦٢٠). سبق لكازوبون أن نشر طبعة يونانية لاتينية قبل تلك الطبعة (جنيف ١٥٨٧)، مستخدماً الترجمة التى قام بها جيليلموس كسيلاندر. غير أن هذه الطبعة على أية حال جديدة، وتعتبر أحد المعالم الأساسية فى الدراسات الاسترابونية. وكثيراً ما احتفظت طبعات لاحقة بأرقام صفحات هذه الطبعة. على حين رأى بعض الناشرين الآخرين ترقيم صفحات سترابون حسب طبعة أمستردام. ومثال ذلك، بداية الجزء الثانى تصبح (C 67 — A 117). (وهى مجلد ثقيل جداً وطوله ٣٥ سم وسمكه ٨ سم بدون الغلاف) ويضم هذا الجزء جميع النص اليونانى مع ترجمة أكسيلاندر اللاتينية فى عمودين متقابلين (فى ٨٤٣ صفحة)، وملحق بها فهارس مستفيضة، وتأتى أخيراً شروح وتصويبات كازوبون (فى ٢٨٢ صفحة)، ولها فهرس خاص بها.

من العسير علينا أن نتصور أن يوليوس قيصر قام بغزواته وحملاته بغير خرائط، لأننا ندرك تمام الإدراك مدى أهمية استخدام الخرائط بحيث لا نكاد نتصور سفراً بغير خريطة. أما يوليوس قيصر ومعاونوه فكان لديهم فكرة عامة عن كل بلد من البلاد التى اتجهوا إليها، ومثال ذلك بلاد الجال. حيث حصلوا على مزيد من المعلومات من مصادر محلية كلما تقدموا فى السير فيها. وكان بعض هذه المعلومات يتعلق بقبائل لا نستطيع حتى الآن تعيين موقعها على الخريطة، لأن إقليم كل قبيلة لم يكن ثابتاً، فقد يتسع أو ينكمش حسب الظروف السياسية، وكان يتغير بعض الشىء بصورة مستمرة بتغير فصول السنة.

سبق لبلاد الجال أن زارها كل من يوليبوس وبوسيدنيوس ، ولكن فتح يوليوس قيصر لها ( ٥٨ ــ ٥٠ ق.م ) زاد معرفة الرومان كثيراً بأرجائها ، إذ كان ذلك أشبه باكتشاف عالم جديد ، ملىء بكل جديد . وسبق للرومان أن استعمروا جزءاً من جاليا وهو بروڤانس الحالية . ولكن يوليوس قيصر فتح جميع الأراضى التى سكنها الجاليون والكلتيون . وفى عصر أغسطس قيصر قسمت جاليا إلى أربع ولايات : وهى بروڤانس الحالية ، وسميت جاليا الناربونية ( حول مدينة ناربون ) ، ثم أقاليم جاليا الثلاثة التى فتحها يوليوس قيصر ، وهى : جاليا الأكويتانية ، وتقع بين جبال البرانس ونهر اللوار ، ثم جاليا اللجدونية ، وتقع بين نهر اللوار ونهر السين ونهر السون وهى حول مدينة ليون ، ثم جاليا البلجيكية شمالى نهر السين بين نهرى السون والراين . وتمثل هذه الأقاليم الثلاثة من جاليا الشعوب الثلاثة الرئيسية التى أخضعها يوليوس قيصر للحكم الرومانى ، وهى الأكويتانيون فى الجنوب ، والكلتيون أو الجاليون فى الوسط ، والبلجيكيون فى الشمال . كان يوليوس قيصر على علم تام بالأنهار الرئيسية التى سبق أن ذكرناها ، فضلا عن معرفته بنهرى الجارون والمارون ، وكذلك سلسلة جبال سيفن فى الجنوب وجبال الجورا والفوج فى الشرق ، وغابة الأردون فى جاليا البلجيكية . وكانت لديه ثروة كبيرة من المعلومات التفصيلية ، فكثير من أسماء الأماكن والقبائل التى نعرفها الآن فى صورتها الحديثة ظهرت لأول مرة فى « تعليقات يوليوس قيصر » .

وأمدنا يوليوس قيصر كذلك بما نستطيع أن نسميه الآن معلومات خاصة بجغرافية الأجناس ، وهى معلومات تتعلق بعادات الناس وتقاليدهم .

وغزا يوليوس قيصر بريطانيا مرتين ، فى سنة ٥٥ وسنة ٥٤ ، وأغار على جرمانيا كذلك مرتين فى سنة ٥٥ وسنة ٥٣ . ووصف شكل بريطانيا الجغرافى المثلث ، وقدر حجمها تقديراً جيداً ، وذكر جزيرة هيبيرنيا أو إيرنى وهى أيرلندا الحالية ، وأن هذه الجزيرة تبلغ نصف حجم بريطانيا ، وتقع غربيها ،

# GÉOGRAPHIE
DE
# STRABON,
TRADUITE DU GREC EN FRANÇAIS.

TOME PREMIER.

A PARIS,
DE L'IMPRIMERIE IMPÉRIALE.

An XIII. = 1805.

شكل ٨٥ – صفحة العنوان من الجزء الأول من الترجمة الفرنسية لاسترابون ، وهى التى قام كوراييس بترجمتها بناء على تكليف من نابليون وتحت رعايته، واشترك فى هذه الترجمة دلابورت دى، تيل ولترون وجوسلان (خمسة أجزاء ، ٢٩ سم ، باريس ١٨٠٥ – ١٨١٩) ، وهذه الترجمة مذيلة بشروح مستفيضة وخرائط . وصدرت الأجزاء الثلاثة الأولى منها (١٨٠٥ – ١٨١٢) من المطبعة الإمبراطورية بباريس، والجزءان الرابع والخامس (١٨١٤ – ١٨١٩) من المطبعة ذاتها التى أطلق عليها حينئذ اسم المطبعة الملكية .

ΣΤΡΑΒΩΝΟΣ
# ΓΕΩΓΡΑΦΙΚΩΝ
ΒΙΒΛΙΑ ΕΠΤΑΚΑΙΔΕΚΑ,

ΕΚΔΙΔΟΝΤΟΣ ΚΑΙ ΔΙΟΡΘΟΥΝΤΟΣ Α ΚΟΡΑΗ,

Φιλοτίμῳ δωρεᾷ τῶν ἐμπορευομένων Χίων, ἐπ' ὠφελείᾳ τῆς Ἑλλάδος.

ΜΕΡΟΣ ΠΡΩΤΟΝ.

ΕΝ ΠΑΡΙΣΙΟΙΣ,
ΕΚ ΤΗΣ ΤΥΠΟΓΡΑΦΙΑΣ Ι. Μ. ΕΒΕΡΑΡΤΟΥ.

ΟΝ ΤΡΟΥΒΕ,
CHEZ THÉOPHILE BARROIS, PÈRE, LIBRAIRE, RUE HAUTEFEUILLE, N° 18.

ΑΩΙΕ.

شكل ٨٤ – صفحة العنوان من المجلد الأول من طبعة سترابون التى أعدها أدمانتيوس كوراييس، ونشرت فى أربعة أجزاء (باريس ١٨١٥ – ١٨١٩) . كان كوراييس من مدينة إزمير ، وكان عالماً ومواطناً يونانياً (١٧٤٨ – ١٨٣٣) وعاش فى باريس منذ ١٧٨٨ ، وهو أحد المؤسسين الفكريين لليونان الحديثة . انظر المجلد الأول من كتاب تاريخ العلم، ص ٣٦٩ من الأصل الإنجليزى.

وكان يوليوس قيصر أول من لاحظ جزيرة مان[٣٢] . أما معرفته ببلاد الجرمان فكانت أكثر غموضاً ، كما سبق أن لاحظنا فى وصفه غابة هيركينيا ، وذلك لأن معلوماته لم تتعد أعالى نهر الراين ، وقليلا من أعالى نهر الدانوب[٣٣] .

والخلاصة أن تعليقات يوليوس قيصر تمدنا بعدد كبير من الأسماء الجغرافية والبشرية ، ولكن لا ينبغى أن نتوقع منها معرفة جغرافية دقيقة ، لأن تلك المعرفة لم تكن غايته ، ولم يسع هو للحصول عليها .

ولم يكن يوليوس قيصر مدركاً لضرورة المعرفة الجغرافية ، كما أدركها الإسكندر الأكبر ، كما أن الأرض التى خرج ليكشف معالمها ويفتحها ويستعمرها كانت أصغر حجماً وأقل غموضاً .

وكان يوليوس قيصر أول قائد رومانى يعبر نهر الراين . وكان القائد الرومانى الثانى دروسوس [٣٤] . الذى عينه أغسطس قيصر فى سنة ١٣ ق.م والياً على جاليا الرومانية . وفى سنة ١٢ قام دروسوس بعمل إحصاء عام . وبنى فى ليون هيكلا لروما ولأغسطس . وفى ذلك العام أمره أغسطس بأن يغزو جرمانيا ، وتم ذلك من الناحية الشمالية لبلجيكا ( باتافيا وهولندا ) . وكانت القاعدة الأساسية لجيش دروسوس عند مدينة ڤيتيرا ، [٣٥] ثم عند مدينة ماينز بعد ذلك . واستمرت حملته فى جرمانيا حتى عام ٩ ق.م. حيث بلغ نهر الألب ومات هناك ، ودفن فى الضريح المعروف باسم أغسطس قيصر . ولكى ييسر دروسوس على نفسه عملية نقل الإمدادات ، حفر قناة تصل بين الراين وبين زويدر والمحيط ، وساعده ذلك على إخضاع الفريزيين ، ولكن هذه القناة لم تكن كبيرة الفائدة فيما بعد [٣٦] .

وفى عام ٤٤ حين كان يوليوس قيصر فنصلا مع ماركس أنطونيوس أمر بعمل مسح عام للدولة الرومانية . غير أن مصرعه ، فى الخامس عشر من مارس عام ٤٤ ، حال بينه وبين إنجاز مشروعه . وتروى الأخبار المأثورة عن العصور الوسطى أن يوليوس قيصر كان قد ابتدأ فعلا فى هذا المسح العام للدولة الرومانية ، إذ يذكر ايتيكوس ايستر [٣٧] فى كتاب جغرافية العالم ( النصف الثانى من القرن

السابع ) أن يوليوس قيصر أمر بإجراء هذا المسح العام حينما كان قنصلا ، وأن زينودوكسوس أتم مسح البلاد الشرقية فى إحدى وعشرين سنة ونصف سنة ، وأن ثيودوتوس أنجز مسح البلاد الشمالية فى ثلاثين عاماً ، كما قام بوليكليتوس بمسح البلاد الجنوبية فى اثنتين وثلاثين سنة . وعلى ذلك استغرق مسح أراضى الدولة الرومانية اثنتين وثلاثين سنة ، وتم عرض ذلك العمل على السناتور الرومانى فى عام ١٢ ق . م ويوجد فى خريطة حول العالم التى رسمها ريتشارد هالدنجهام [٣٨] جدول يذكر أن يوليوس قيصر ابتدأ عملية المسح ، وأنه عهد بذلك العمل فى الشرق إلى شخص يسمى نيكودوكسوس ، وفى الشمال والغرب إلى ثيودوكسوس ، وفى الجنوب إلى بوليكيتوس . وهذه الأسماء الثلاثة قريبة جداً من الأسماء التى نكرها ايتيكوس إيستر ، ولا بد أنها هى أسماء الأشخاص أنفسهم . وبناء على هذه الأسماء ، فإن مساعدى يوليوس قيصر الثلاثة كانوا من اليونانيين .

## ماركس فيبسانيوس أجريبا ( ٦٣ – ١٢ ق . م )

أدى بنا الحديث عن فتح جرمانيا من يوليوس قيصر إلى دروسوس ، الذى كان أحد ضباط أغسطس قيصر . وهذا الوصف ينطبق أيضاً على أجريبا ، وكان يمكننا أن نكتب هذا القسم تحت اسم « أغسطس » ، كما أطلقنا على القسم السابق اسم « يوليوس قيصر » . ولكن شتان ما بين هذين الرجلين ، إذ كان يوليوس قيصر يقود حملاته بنفسه ، وتعليقاته التى كتبها هى مذكراته الخاصة ، فى حين كان أغسطس قيصر رجلا محظوظاً اصطفاه القدر ليكون أول إمبراطور ، واستحق منصبه الأعلى هذا ، وكان كفءاً له ، ولكنه اضطر من أجل ذلك أن يتفرغ لإدارة الإمبراطورية وأن يترك لغيره التمتع بالأعمال الإنشائية .

وسبق لنا أن وصفنا أعمال أجريبا فى العمارة والهندسة ، وكان

من توفيقاته أنه أتم عملا آخر بدأه يوليوس قيصر وهو مسح أراضى الدولة الرومانية ، وتضمن ذلك منه أعمالا جغرافية كثيرة ، ومنها قياس الطرق وكانت هذه الطرق بنيت أصلا لأغراض عسكرية ، ولكنها استخدمت أيضاً لأغراض التجارة والسفر . وأفاد عمل الخريطة لهذه الطرق جميع الأغراض الحربية والسلمية . وابتدأ ذلك العمل قبل أغسطس قيصر وأجريپا. فيذكر بوليبيوس أنه سبق قياس الطريق من حدود إسبانيا إلى نهر الرون ، وأن المسافات على طول ذلك الطريق كانت مكتوبة على شواهد حجرية . وفيما بين أيام بوليبيوس وأغسطس قيصر بنيت طرق كثيره أخرى ، ثم قيست وعينت مسافاتها بالطريقة نفسها . وفى أيام أغسطس قيصر حان الوقت لمسح شبكة هذه الطرق الرومانية كلها ، وهذه هى المهمة التى عهد بها الإمبراطور أغسطس إلى أجريپا .

وكانت نتيجة هذا العمل رسم خريطة للعالم ( أى للإمبراطورية الرومانية وبعض الدول المجاورة ) ، ورسمت هذه الخريطة بناء على أمر من أغسطس على حائط باب أوكتانيان فى روما . وكانت هذه الخريطة من تصميم أجريپا ، ولكن لم يتم رسمها حتى وفاته ، ولها شرح يبين المسافات بين الأماكن فضلا عن مساحات الأقاليم .

وأدى هذا العمل إلى نهضة جديدة لتأليف المراشد الجغرافية لأغراض عسكرية أو مدنية . وسبق لنا أن أوردنا مثلا على ذلك فى الفقرات السابقة الخاصة بالجغرافى إيزيدوروس الشاراكى ، ومن المحتمل أن كتابه الذى عنوانه المحطات البارثية كان نتيجة من نتائج العمل الذى قام به أجريپا . ويمكننا أن نتصور من ذلك أن كل حاكم رومانى عارف بمسئولياته كان يأمر بعمل مراشد جغرافية مماثلة لإقليمه ، لأنه كان من العسير ، بل من المستحيل ، على حاكم رومانى أن يحكم فى إقليمه دون أن يكون لديه كتاب من هذا النوع .

وبالتدريج صارت المراشد الجغرافية نوعين ، وأولها المراشد الوصفية ، لأنها تصف الطرق والأقاليم بالألفاظ ، مع ذكر قوائم بأسماء المحطات والمسافات بينها ، وثانيها المراشد المصورة ، وهى تحتوى على خرائط ورسوم توضيحية أخرى . ولما كانت هذه الوثائق الجغرافية من ضرورات السفر ، فمن المحتمل أن تأليفها ابتدأ قبل عصر أغسطس قيصر ، ولكنها زادت كثيراً منذ ذلك ومع هذا فإن مابقى لنا منها قليل جداً ، وكان اختفاؤها نتيجة حتمية لكثرة استخدامها ، لأنها كانت معدة لاستخدام المسافرين وليس للعلماء . وأقدم ما لدينا من النوع الأول ما هو معروف باسم رحلة أنسونيوس وهى إلى القرن الثالث ، كما أن أقدم ما لدينا من النوع الثانى هو جدول بيوتنجر من القرن نفسه (٣٩) .

ويشرح فيجيتيوس فى كتابه فى فن الحرب ( النصف الثانى من القرن الرابع ) مدى الحاجة الحربية للمراشد الجغرافية بنوعيها ، مفترضاً وجودها الفعلى ، وكانت هذه المراشد مألوفة لمدة لا تقل عن أربعة قرون قبل فيجيتيوس. وكانت هناك أيضاً مراشد للملاحين ، وهذه ترجع إلى العصر الإسكندرى ونسخت هذه المراشد القديمة وزيدت بالتدريج خلال العصر البيزنطى (٤٠). استمدت كتب الرحلات اللاتينية مادتها من دراسة أجريبا ومن مصادر يونانية مختلفة .

**الملك جوبا الثانى ( مات سنة ٢٠ م تقريباً ) :**

يتضح التأثير الرومانى ، وكذلك تأثير اليونان غير المباشر ، فى أخبار جوبا الأول ، وهو ملك نوميديا الذى اتخذ جانب بومبى ، وانهزم على يد يوليوس قيصر ، ثم انتحر أخيراً فى عاصمته زاما (٤١) سنة ٤٦ ق.م. أما ابنه جوبا الثانى ، الذى كان طفلا فى ذلك الوقت ، فكان زينة فى موكب النصر الذى أحرزه يوليوس قيصر فى ذلك العام ، ونشأ جوبا الثانى فى روما ، وتعلم أحسن تعليم على يد معلمين يونانيين ، حتى أصبح عالماً ممتازاً ومواطناً

رومانيًّا . واطمأن الإمبراطور أغسطس قيصر إلى ولائه وسمح له بالعودة إلى نوميديا ، ثم أقامه ملكاً على مورتيانيا سنة ٢٥ ق.م[٤٢] ونتيجة لثقافته اليونانية ، أراد جوبا الثانى أن تكون له علاقات وثيقة مع العالم اليونانى وتزوج مرتين من أميرتين يونانيتين : الأولى كليوباترا سيليني ، ابنة ماركس أنطونيوس من الملكة كليوباترا العظيمة ، ثم جلاڤيرا ، ابنة أرخيلاوس ، ملك كپادوكيا [٤٣] . وبذل جوبا الثانى غاية جهده ليدخل الثقافة اليونانية والرومانية إلى مملكته . وكتب كثيراً من الكتب باللغة اليونانية ،[٤٤] تناول فيها تاريخ روما وليبيا ، وبلاد العرب وأشور ، كما قارن بين تراث اليونان وتراث الرومان ، ووصف جوبا الثانى النبات المعروف باسم يوفوربيا ( وهو نبات أفريقى ) ، وأطلق عليه هو هذا الاسم تكريماً لطبيبه يوفوربوس ، ومن المعروف أن مؤلفات جوبا الثانى مفقودة ، ولكنها معروفة لنا بأسمائها فى كل من بلينى وبلوتارك ( القرن الأول ) .

ونحن نهتم بصفة خاصة بهذا النوميدى اليونانى الماهر ، نظراً لحب استطلاعه الجغرافى ، إذ قام بأبحاث تتعلق بجزائر الخالدات ( الكنارى ) ، التى اعتقد أنها تتكون من خمس جزر[٤٥] . ثم إنه عرف نهر النيجر ، وأسس النظرية القائلة بأن نهر النيل ينبع من جبل يقع فى غرب موريتانيا ، بالقرب من المحيط [٤٦] . ولعل الذى ضلله هنا هو هيرودوت ؟ وكيفما كان الأمر ، فنحن لا نستطيع أن نلومه على أخطاء لم تصحح إلا فى القرن الماضى ، لأنه كان من العسير إصلاحها إلا بكثرة الملاحة فى البحار ورسم الخرائط الرياضية .

وهنا نستطيع أن نقرر بشأن الخطأ الجغرافى بشأن منابع النيل أن لوكريتيوس قال فى كتابه الذى عنوانه مسائل الطبيعة أن النيل ينبع من المناطق الجنوبية الحارة ، وأن فتروفيس خلط بين النيجر والنيل . ويدل ذلك على وجود أخطاء جغرافية غريبة أخرى فى المؤلفات اليونانية واللاتينية ، ولكن هذا يطيل حديثنا أكثر مما ينبغى ، مع العلم بأننا تحدثنا بما فيه الكفاية لنعطى فكرة عن المعرفة الجغرافية فى عصر ما قبل المسيح .

**هيجينوس ( مات عام ١٠ م تقريباً ) :**

خصص هذا الكاتب الرومانى الوفير الإنتاج ، الذى أعتقه أغسطس قيصر وعينه مديراً لمكتبة البلاتين ، واحداً من مؤلفاته العديدة ( المفقودة ) لجغرافية إيطاليا . وكان هيجينوس فى ذلك أحد السباقين الذين احتذى حذوهم بترارك وكثير من الإنسانيين فى عصر النهضة الأوربية الكبرى . أى إنه كان الأول ، منذ بوليبيوس وسترابون ، ولعله الأول فى اللغة اللاتينية كلها فى موضوع تحويل الجغرافيا فى اتجاه الجغرافيا التاريخية ، وذلك لأنه كان يعمل على تحقيق أسماء الأماكن التى يذكرها المؤرخون والشعراء على ما كان موجوداً فى زمانه . لأنه لم يكن للأماكن معنى عند الإنسانيين القدماء أو الإنسانيين فى عصر النهضة إلا بمقدار علاقتها بالإنسان ، وليس الإنسان عامة ، بل الإنسان السياسى والجندى ، والفيلسوف والشاعر والفنان أو البطل الأسطورى .

openkandl.com

## التعليقات

( ١ ) فيما يتعلق بالجغرافيا فى القرن الثالث ق . م . ، انظر الفصل السادس .

( ٢ ) التاريخ التقليدى للحرب الطروادية هو ١١٩٢ — ١١٨٣، لكن التاريخ الحقيقى لا يعنينا فيما يتعلق بمدينة مالوس، ويكفى أن نذكر أن مالوس أنشئت فى تاريخ موغل فى التقدم .

( ٣ ) انظر Hans Joachim Mette, Sphairopoiia , Untersuchungen zur Kosmologie des Krates von Pergamon ( 336 pp., Munich, 1936) [Isis 30, 325 (1939)] .

( ٤ ) انظر Collected by Karl Muller, Fragmenta historicorum graecorum, vol. 3 (Paris, 1849), pp. 108 — 148.

( ٥ ) انظر Greek - Latin edition of fragments in Karl Muller, Geographi graeci minores (Paris, ed. 1, 1855), Vol. 1, pp. 111 — 195; English translation in E.H. Warmington, Greek geography (London, 1934) [ Isis 35, 250 (1944)], pp. 43 — 44, 198 — 207.

( ٦ ) يبدو أن هذا الكتاب كان من الكتب البحرية الصغيرة لإرشاد الملاحين . فيما يتعلق بسواحل البحر الأحمر . وبقيت منه أوراق فى مؤلفات ديودور الصقلى ( النصف الثانى من القرن الأول ق . م . ) وفوتيوس ( النصف الثانى من القرن التاسع الميلادى ) .

( ٧ ) لا ينبغى الخلط بين أرتميدوروس هذا وأرتيمدوروس آخر ، وهو كذلك من إفيسوس ( النصف الثانى من القرن الثانى الميلادى ) ولكنه من عصر متأخر ، ويسمى هذا الأخير عادة أرتيميدوروس دالديانوس ، وهو الذى ألف كتاباً عن الأحلام ، ولابد أن اسم أرتيمدوروس ومعناه منحة أرتيميس كان منتشراً فى إفيسوس ، وهى المدينة التى وهبت لأرتيميس .

( ٨ ) اكتشف اليونان منذ عصر مبكر خاصية الجاذبية فى المغناطيس . ولكن خاصية التوجيه المغناطيسى لم تكتشف إلا فى العصور الوسطى ، ولذا كان استخدام البوصلة فى الملاحة من أعمال العصور الوسطى المتأخرة .

(٩) كيزيكوس جزيرة تقع فى بحر مرمرة، وهى إحدى المستوطنات اليونانية الأولى فى آسيا الصغرى . وهى متصلة الآن بالساحل الجنوبى لهذا البحر وتسمى كابيدا . وما نعرفه عن يودكسوس هذا مستمد من بوسيدونيوس كما ورد فى سترابون .

(١٠) المقصود بذلك اكتشاف الغربيين لهذه الرياح ؛ إذ من المحتمل أن الملاحين الهنود أو العرب كانوا عارفين بها، ولكن لاسبيل إلى إثبات ذلك . والرياح الموسمية ، رياح فصلية ، تهب فى فصل معين من السنة فى اتجاه معين وفى عكس الاتجاه فى فصل آخر .

(١١) يعد ميخائيل إيڤانوفتش رستوفتزف ( ١٨٧٠ — ١٩٥٢ ) أحد أولئك العلماء . انظر مجلة (Isis, 34, 173, 1942) ويذكر معجم أكسفورد للدراسات القديمة أن هيبالوس بلغ أوجه فى القرن الأول ق . م . وأطلق پلينى اسم هيبالوس على الريح الموسمية الجنوبية الغربية . انظر (Pliny, Natural History, VI, 104 — 106)

(١٢) هذه المعلومات وغيرها فى هذه الفقرة مأخوذة من كتاب W.W. Tarn and G.T. Griffith, Hellenistic civilisation (London : Arnold, 1952) pp. 247 — 248.

ولكنى شخصيًّا أشك فى صدق هذه العبارة بالذات ، التى لاتتمشى مع الحقائق التالية هنا .

(١٣) تقع أفاميا على نهر العاص ، وكانت إحدى المدن الهامة فى الدولة السليوكية كما ظلت على أهميتها فى الولاية الرومانية الشامية ، وأطلق عليها خلال الحرب الصليبية الأولى اسم قامية ( ١٠٩٦ — ١٠٩٩ ) حينما حكمها الأمير تانكرد النورمانى .

(١٤) استخدم هـ . ف. توزر هذا التعبير فى كتابه الذى عنوانه :
History of Ancient Geography (rev. ed. by M. Cary; Cambridge, 1935), p. 190.

(١٥) كان هذا القول أحد المعتقدات القديمة التى يمكن إرجاعها إلى نيارخوس ( فى القرن الرابع ق . م . ) وأرسطو وهيكاتيوس ( فى القرن السادس ق . م . ) ، وهوميروس . ولمعرفة تفاصيل ذلك انظر القسم الأول حـ ١ ص ٢٩٩ ، ٣٨٤ ، حـ ٢ ص ١٤٩ حـ ٣ ص ٢٤٠ . ومن المعروف أن القول بوجود محيط واحد صحيح ؛ ولكن كلا من هوميروس وهيكاتيوس أخطأ حين اعتقد أن هذا المحيط الواحد نهر كبير يحيط بالأرض، ثم يعود ويصب فى مجراه ، لأن هذا الرأى النهرى يتعارض مع فكرة أن الأرض كرة .

(١٦) تقع أماسيا على نهر إيريس ( واسمه يشيل ارماك فى تركيا الحالية ) . وكانت أماسيا هذه عاصمة مملكة بنطس ، الواقعة فى الجنوب من الطرف الشرقى للبحر الأسود ،

وهى كذلك مسقط رأس الملك متريدانيس العظيم . انظر
(Strabon, XII, 3, 39; see also XV 30, 37).

( ١٧ ) تقع أميسوس فى مملكة بنطس ، وعلى هذا يشترك تيرانيون هذا مع سترابون فى الوطن ، ولكنهما لم يلتقيا أو يعملا معاً إلا فى روما .

( ١٨ ) توفى بوسيدونيوس فى سنة ٥٠ ق . م . وعلى ذلك لا يستطيع سترابون أن يقابله إلا فى شبابه المبكر . لأنه فى سنة ٥٠ ق . م . كان سترابون فى سن الرابعة عشرة ، وبوسيدونيوس فى الثمانين .

( ١٩ ) مثل هذه الإشاره وأمثالها تعنى كتابه « الجغرافيا » .

( ٢٠ ) سافر سترابون سنة ٢٥ إلى إقليم طيبة فى حاشية ايليوس جالوس والى مصر . ويذكر كارى . (M. Cary in Tozer's History of ancient geography, p. XXV iii )

« أنه فى سنة ٢٥ قام أغسطس قيصر بمحاولة طائشة للقضاء على الاحتكار الذى فرضه الحميريون من العرب على جنوب البحر الأحمر ، فوجه حملة برية ضد واحدة من مدنهم تسمى ماريابا . وبعد ستة أشهر من السير الشاق من خليج العقبة عبر صحراء العرب إلى ماريابا قام القائد ايليوس جالوس بمحاصرة المدينة ، ولكنه أخفق فى إخضاعها . وهذه هى المحاولة الجادة الوحيدة لفتح بلاد العرب فى التاريخ القديم . ومنعت العقبات التى عانتها حملة جالوس الأباطرة من القيام بمحاولات أخرى للتوغل فى بلاد العرب » .

( ٢١ ) كانت نهاية الجزء السابع من هذه الجغرافيا موجودة فى القرن الحادى عشر الميلادى ، إذ يوجد ملخص لهذا الجزء فى مختصر الفاتيكان ، وهو مخطوط مكتوب فى نهاية ذلك القرن . وهناك فقرات كثيرة تبلغ ٣٤ صفحة من نهاية هذا الجزء السابع .

( ٢٢ ) المقصود بالجينيثليالوجيا قراءة الطالع وحسبان الميلاد ، وكان الناس فى زمن سترابون يعتقدون فى التنجيم ، أما المتعلمون والأذكياء من أمثال سترابون فإنهم خففوا من تلك العقيدة بالروية والشك . اقرأ تعليقات سترابون على علم الفلك والتنجيم فى كتابه ج ١٦ ، فصل ١ ، وهو خاص بالكلدان ، ثم ج ١٧ ، فصل ١ ، فقرة ٤٦ الخاص بالمصريين .

( ٢٣ ) Geography, XVI, 2, 24.

( ٢٤ ) كان تصور البراكين على أنها صمامات أمن لايزال موجوداً فى أوربا حتى

نهاية القرن الثامن عشر . وقال بذلك واحد من مؤسسى علم الجيولوجيا الحديث وهو جيمس هاتون فى كتابه [Theory of the Earth, (ed. 2 vols., Edinburgh, 1795), vol. I, p. 146]

(٢٥) انظر جغرافية سترابون ، ج ١ ، فصل ٣ ، فقرة ٤ ، وفى هذا الفصل أمثلة أخرى .

(٢٦) لاحظ هيرودوت مثل هذه الملاحظات الجيولوجية من قبل بصدد وادى تيمبى بإقليم تساليا. كما لاحظ أرسطو وبوسيدونيوس ملاحظات مشابهة بصدد جزر ليبارى .

(٢٧) انظر كتاب الجغرافيا ، ج ١٣ ، فقرة ٥٤ ، ص ١ .

(٢٨) خاراكس كلمة يونانية معناها عصا ، ومن ثم سور من عصى أو معسكر مسور بعصى مثبتة فى الأرض ، وكثير من المعسكرات أطلق عليها اسم شاراك أو خاراكس وموقع هذا المكان قرب مصب نهر دجلة ، ولعل ازيدوروس كان كلدانيا .

(٢٩) انظر Wilfred H. Schoff, Parthian Stations of Isidore of Charax (47 pp. Philadelphia, 1914).

(٣٠) وصف يوليوس قيصر غابة هركينيا سابقاً فى كتابه الذى عنوانه حرب الجاليين ، بأنها غابة تخترق جرمانيا حتى إقليم داكيا (٦٠ يوماً فى الطول وتسعة أيام فى العرض) . ومعنى ذلك أن هذا الوصف ضم الغابة السوداء وأودينفالد وغابة ثورنجر وهارتز وارتزجبرجه وريزنجبرجه . ويلاحظ أن ألفاظ « هارتز » و « إرتز » مشتقة من « هركينيا » . وكانت الجبال أكثر صعوبة عند تعيين موقعها بدون خريطة .

(٣١) انظر Cicero, De provinciis consularibus in senatu oratio (chap. 13) dated 56 B, C.

(٣٢) كانت الجزيرة التى أطلق عليها يوليوس قيصر اسم مونا ، وقال إنها تقع فى وسط المسافة بين بريطانيا وهيبيرنيا هى جزيرة مان وليست جزيرة أنجلسى . وأطلق بلينى على هذه الجزيرة اسم مونابيا .

(٣٣) كان اليونان على علم بالجزء السفلى من وادى الدانوب ، وليس بالجزء العلوى منه . وكان أوكتافيانوس (أغسطس فيما بعد) أول من أدرك أثناء حملته فى بانونيا سنة ٣٥ ق.م. أن نهر الدانوفيوس فى ألمانيا الجنوبية ونهر الاستر فى بلاد البلقان جزءان من نهر واحد . وفى سنة ١٥ ق . م . زار تيبريوس منابع الدانوب . وهذه هى أول مرة يعرف فيها النهر كله .

(٣٤) نيرون كلوديوس (٣٨ — ٩ ق . م . ) هو ابن زوجة أغسطس ، وتولى منصب المدير المالى فى السنة الثامنة عشرة من عهده . وخلف أغسطس فى الحكم تيبريوس (٤٢ ق . م . — ٣٧ م . ) وهو الأخ الأكبر للقائد دروسوس : وكانت مدة حكمه (١٤ — ٣٧ م . ) .

(٣٥) تقع فتيرا فى الجزء السفلى من الراين بالقرب من مدينة اكسانتين الحالية . ومن الغريب أن يكون هذا الموقع الذى هو أقدم معسكر رومانى على الراين ( كانت تقيم هناك فرقة حتى نهاية الإمبراطورية ) ، هو أيضاً الموقع الذى أقيم عليه قصر النيبلونجن . حيث ولد سيجفريد ، قاتل التنين الأسطورى .

(٣٦) Alfred Klotz, Casarstudien nebst einer Analyse der Strabonischen Beschreibung von Gallien und Britannien (267 pp.; Leipzig, 1910)

(٣٧) انظر Louis Baudet, Cosmographic d'Ethicus (Paris 1843) p. 8.

(٣٨) هذه الخريطة هى المحفوظة فى كاتدرائية هرفورد فى إنجلترا ، وهى مرسومة سنة ١٢٨٣ تقريباً ، انظر Introduction, vol. 2, p. 1050 . انظر الطبعة الجديدة لهذه الخريطة ، ومعها مقالة كتبها كرون ونشرتها الجمعية الملكية الجغرافية ( لندن ١٩٥٤ ). وهذه الخريطة أو الأصل الذى أخذت عنه عملت لتوضح تاريخ هروشيوش المؤرخ الرومانى فى القرن الخامس .

(٣٩) انظر For more details, see Introduction, vol. 1, p. 323

(٤٠) فيما يتعلق بالعصر البيزنطى انظر Armand Delatte, Las Portulans grecs Liége : Faculté de philosophie et lettres, 1947) (Isis 40, 71 — 72 (1949).

وقامت كل دولة متحضرة بعمل المراشد اللازمة لها ، مثل الصين ( Introduction, vol. 1, pp. 324, 536)

والدول الإسلامية (المصدر نفسه ص ٦٠٦) . والكتب العربية والصينية الخاصة بالمراشد تاريخ مستقبل ، استجابة لضرورات الإدارة فى تلك البلاد .

(٤١) مدينة زاما هى ياما فى فى تونس ، وتقع فى الجنوب الغربى من قرطاجة : (Oxford Classical Dictionary, p. 964).

(٤٢) يمكننا أن نقول على وجه التقريب بأن نوميديا هى غرب تونس وشرق الجزائر الحالية ، وأن موريتانيا هى غرب الجزائر ومراكش الحالية . وكان جوبا الأول ملكاً على

نوميديا ، أما جوبا الثانى فإنه صار ملكاً على موريتانيا فضلا عن نوميديا ، وكان ذلك من دواعى السياسة الرومانية .

( ٤٣ ) لقى جوبا الثانى هاتين الأميرتين فى روما ، فبعد موت ماركس أنطونيوس سنة ٣٠ ق . م . أعيدت كليوباترا سيليني إلى روما . أما أرخيلاوس فكان ملكاً على كبادوكيا بناء على رغبة أنطونيوس ، ولكنه اتهم بالخيانة فيما بعد ، فأخذته السلطات الرومانية إلى روما وأرغم على البقاء هناك ، حيث مات سنة ١٧ م .

( ٤٤ ) كان من الممكن أن نتحدث عن جوبا الثانى هذا مع غيره من اليونانيين فى القسم الأول من هذا الفصل . ولكن موقفه شاذ لأنه رجل من نوميديا ، وتعليمه كله فى روما ، وأنه يمثل مدى اصطباغ العاصمة اللاتينية للعالم بالصبغة الهلنستية .

( ٤٥ ) يمكن مطابقة بعض الأسماء والتفاصيل الأخرى التى يذكرها بلينى على بعض الأسماء والتفاصيل الحالية ، مثل اسم جزائر الكناريا . ومن المحتمل أن هذه الجزر كانت معروفة للقرطاجيين ، ومن المحتمل كذلك أن جوبا الثانى استوحى فى بحثه أخباراً محلية .

( ٤٦ ) كان من العسير القضاء على هذه النظرية وغيرها من النظريات التى تجعل من من النيجر فرعاً للنيل ، والتى تعتبر الصلة الغربية بين النيجر والنيل هى الصورة الإفريقية للصلة بين الجزئين القديمين من الدانوب الأوربى ، ( Introduction, vol. 3, pp. 1158, 1772 )